الشرطة المجتمعية في فلسطين.. حين تتحوّل المؤسسة الأمنية إلى ضميرٍ حيٍّ في جسد المجتمع

بقلم: د. تهاني رفعت بشارات

في زمنٍ تتكاثف فيه التحديات، وتتزاحم فيه الأزمات على أبواب الحياة اليومية، لا تعود المؤسسة الأمنية مجرد جهاز يُعنى بضبط النظام، بل تغدو روحاً نابضةً في وجدان المجتمع، وشريكاً أصيلاً في صناعة الاستقرار الإنساني قبل الأمني. ومن هنا، يبرز اسم الشرطة الفلسطينية، لا بوصفه عنواناً تقليدياً للسلطة، بل كقصة تحوّلٍ عميقةٍ، أعادت تعريف العلاقة بين رجل الأمن والمواطن، وجعلت من الثقة جسراً ممتداً بين الطرفين.

منذ أن تولّى اللواء علام السقا قيادة جهاز الشرطة، بدأت ملامح رؤية جديدة تتشكّل، رؤية لا تكتفي بإدارة الحاضر، بل تصوغ المستقبل بأدواتٍ مؤسسيةٍ حديثة، قائمة على التخطيط الواعي، والتدريب المنهجي، ورفع كفاءة الكوادر وفق معايير متقدمة. لم يكن التغيير شكلياً أو عابراً، بل كان تحولاً جوهرياً أعاد ترتيب الأولويات، ورسّخ مفاهيم الاحترافية، والانضباط، والانتماء العميق لرسالة الأمن كخدمةٍ إنسانيةٍ قبل أن تكون وظيفة.

وفي قلب هذا التحوّل، بزغ نجم إدارةٍ لم تكن يوماً في واجهة المشهد بهذا الزخم: إدارة الشرطة المجتمعية والإعلام. إدارةٌ حملت على عاتقها مهمة دقيقة وعميقة في آنٍ واحد، تتمثّل في بناء جسور الثقة مع المجتمع، والاقتراب من تفاصيل حياته اليومية، ليس بوصفه متلقّياً للخدمة، بل شريكاً في صناعتها. وهنا، لم تعد الشرطة تقف على مسافةٍ من الناس، بل دخلت إلى تفاصيلهم، إلى أفراحهم وأزماتهم، إلى مدارسهم ومخيماتهم وقراهم، تصغي، وتفهم، وتبادر.

لقد شهدنا، خلال فترة وجيزة، ما يشبه «الكرنفال الإنساني» الذي تقوده هذه الإدارة؛ حضورٌ يوميٌّ في الميدان، مبادرات اجتماعية، حملات توعوية، تدخلات لحل نزاعات كادت تتفاقم، لكنها وُئدت في مهدها بحكمة التدخل، وعمق الفهم، واستراتيجيةٍ متينةٍ صاغتها قيادة واعية. لم يكن ذلك محض صدفة، بل ثمرة تخطيطٍ محكم، ورؤيةٍ تؤمن بأن الأمن الحقيقي يبدأ من الإنسان، وينتهي إليه.

وما يلفت النظر، أن هذا الأداء المتقدّم يأتي في سياقٍ استثنائي تعيشه فلسطين، حيث تتداخل التحديات الأمنية مع الضغوط السياسية والاقتصادية، ومع ذلك، تواصل الشرطة الفلسطينية أداءها بثباتٍ يُثير الإعجاب، وإصرارٍ يعكس عمق الانتماء الوطني. إنها معادلة صعبة: أن تحافظ على الأمن، وتحمي الحقوق، وتتابع القضايا، وتواجه الشائعات، في بيئةٍ مشبعةٍ بالتوتر، ومع ذلك تنجح.

ولعلّ من أبرز أدوار إدارة الإعلام الشرطي، ودور الناطق الإعلامي باسم الشرطة الفلسطينية العميد لؤي إرزيقات، أنها لم تكتفِ بنقل الخبر، بل خاضت معركة الوعي، في مواجهة سيلٍ جارفٍ من الشائعات والصفحات الصفراء التي تسعى لبث الخوف، وزعزعة الثقة، وإرباك المشهد العام. فجاءت الكلمة الصادقة، والمعلومة الدقيقة، والتواصل المباشر، كحصنٍ منيع يحمي المواطن من التضليل، ويعيد الاعتبار للحقيقة، ويؤكد أن الإعلام المسؤول هو خط الدفاع الأول عن وعي المجتمع واستقراره.

وعلى صعيد الإنجازات، تتوالى المؤشرات التي تؤكد أن هذا التحول لم يكن نظرياً، بل تُرجم إلى خطوات عملية؛ من تعزيز العمل المروري عبر بحث إنشاء غرفة تحكم مركزية بالتعاون مع بلدية رام الله، إلى المتابعة الحثيثة لعمل إدارة المباحث العامة، وصولاً إلى المبادرات الإنسانية داخل مراكز الإصلاح والتأهيل، وتكريم النماذج المتميزة من رجال الأمن، بما يعزز ثقافة التقدير والتحفيز داخل المؤسسة.

وفي مشهدٍ يفيض بالمعنى، نقف إجلالاً وإكباراً لأرواح شهداء الشرطة، أولئك الذين لم يكونوا مجرد أفرادٍ في جهاز رسمي، بل كانوا حراساً للحياة، وسدنةً لكرامة الوطن. ارتقوا وهم يحملون الأمانة، وتركوا خلفهم إرثاً من التضحية لا يبهت، وقصصاً من الوفاء تظلّ تُروى جيلاً بعد جيل. إن تضحياتهم ليست ماضياً يُستذكر، بل حضورٌ دائمٌ في ضمير كل رجل أمن، يستلهم منها القوة، ويستمد منها المعنى.

إن التحديات التي تعصف بواقعنا، بما تحمله من تعقيداتٍ أمنيةٍ واجتماعية، تفرض علينا جميعاً مؤسساتٍ وأفراداً أن نكون أكثر وعياً ويقظة، وأن نُدرك أن الأمن مسؤولية مشتركة لا تقتصر على جهاز الشرطة وحده. فبقدر ما تكون الشراكة فاعلة بين الشرطة والمجتمع، بقدر ما يترسخ الاستقرار، وتتسع مساحات الطمأنينة.

ولا يمكن لأي منظومة أمنية أن تنجح دون الاستثمار الحقيقي في العنصر البشري، ذلك الركن الذي تقوم عليه كل النجاحات. فالتدريب المستمر، وصقل المهارات، والارتقاء بالأداء المهني، إلى جانب الالتزام الصارم بأخلاقيات المهنة واحترام حقوق الإنسان، هي الأسس التي تصنع شرطةً عصريةً قادرةً على إنفاذ القانون بروح العدالة لا مجرد نصوصه.

نرفع القبعة احتراماً وتقديراً لكل ضابطٍ وشرطيٍّ حمل الأمانة، وسهر الليالي، وواجه المخاطر، ليبقى الوطن آمناً عزيزاً. أنتم حماة القانون، وعنوان الانضباط، وسياج الأمان في وجه كل خطر. بكم نطمئن، وبجهودكم نعتز، وبانتمائكم يزدهر الوطن.

وهكذا، تتكامل الصورة: شرطةٌ تُفكّر، وتُبادر، وتُضحّي، ومجتمعٌ يُقدّر، ويثق، ويشارك. وبينهما، يولد الأمن الحقيقي... أمنٌ يشبه الوطن، ويليق بتضحيات أبنائه.

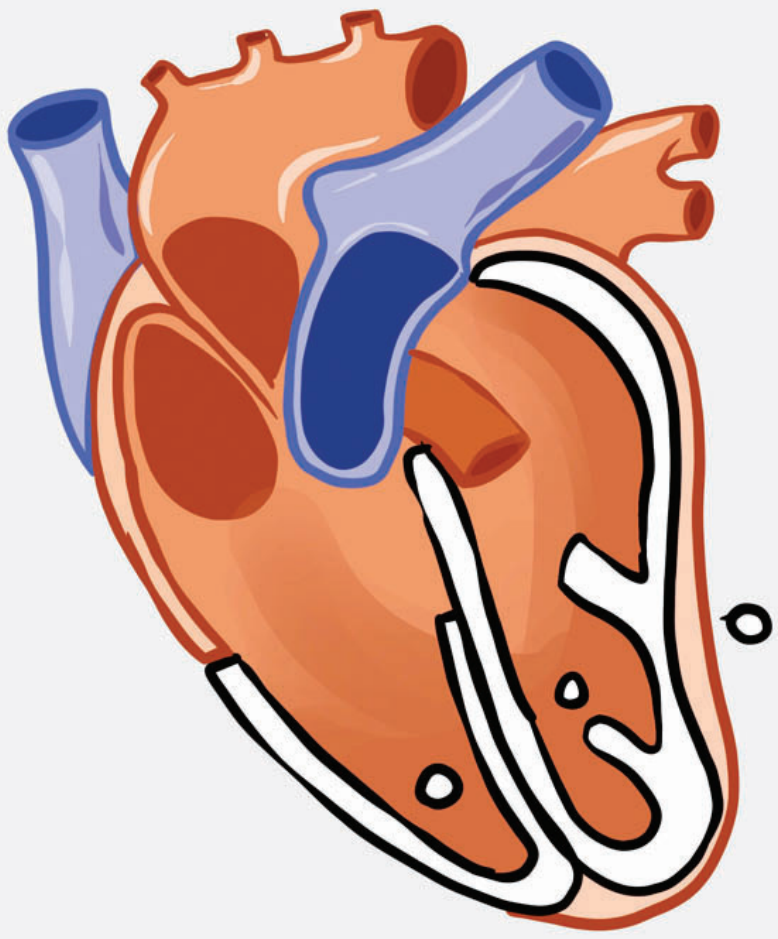

ساعتها

من المفاوضات مع طهران إلى هزيمة أوربان .. صفعة مزدوجة لنائب الرئيس الأميركي

واشنطن (الولايات المتحدة)- أ.ف.ب- كلف نائب الرئيس الأميركي جاي دي فانس بمهمتين خلال الأيام الماضية: التوصل إلى اتفاق مع إيران، والإبقاء على رئيس الوزراء المجري فكتور أوربان في السلطة، لكن أيا من الأمرين لم يتحقق لنائب الرئيس.

بدا فانس، البالغ 41 عاما، منهكا وهو يهم بمغادرة باكستان الأحد الماضي، بعد 21 ساعة من المفاوضات التي فشلت في التوصل إلى اتفاق مع طهران لإنهاء حرب لم يكن يرغب في خوضها أصلا.

ففي مؤتمر صحفي مقتضب في إسلام آباد، أعلن فانس «الأخبار السيئة»، وأجاب عن ثلاثة أسئلة فقط قبل أن يستقل الطائرة عائدا إلى بلاده.

لكن قبل أن تهبط طائرته، وردته أخبار سيئة أخرى.

فبعد أيام من ظهوره في بودابست إلى جانب فيكتور أوربان، أعلن رئيس الوزراء المجري اعترافه بالهزيمة في الانتخابات، على رغم الجهود المكثفة التي بذلتها إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب للإبقاء عليه في السلطة.

وشكل ما حصل صفعة مزدوجة بالنسبة إلى فانس، الذي ينظر إليه كأحد أبرز المرشحين المحتملين لخلافة ترامب في رئاسيات 2028.

وبالنسبة إلى المجر، أصر نائب الرئيس الأميركي على أن دعم إدارة ترامب لمن تعتبره أحد تلامذة نهج «ماغا» في أوروبا، كان لا يزال يستحق المحاولة.

وقال فانس في مقابلة مع برنامج «سبشل ريبورت مع بريت باير» على قناة فوكس نيوز الإثنين: «لم تكن رحلة سيئة على الإطلاق، لأن الوقوف إلى جانب الناس يستحق العناء، حتى لو لم تربح كل سباق».

وأضاف: «لم نذهب لأننا توقعنا أن يفوز (أوربان) بسهولة في الانتخابات، بل ذهبنا لأننا اعتقدنا أن ذلك هو ما ينبغي القيام به».

وباعتباره أحد أكثر المدافعين حماسة داخل الإدارة الأميركية عن الأحزاب اليمينية المتطرفة في أوروبا، بدا فانس الشخص المناسب للذهاب إلى بودابست دعما لأوربان، الذي تربطه أيضا علاقات وثيقة بالرئيس الروسي فلاديمير بوتين.

لكن ظهور فانس إلى جانب أوربان حمل البيت الأبيض تبعات هزيمة أحد أقرب حلفائه، فيما عد أول انتكاسة كبيرة لاستراتيجية الأمن القومي الرسمية التي تتبناها الإدارة، والقائمة على دعم الأحزاب الأوروبية المناهضة للهجرة.

«الأمور لم تسر على ما يرام»

في باكستان، واجه فانس تحديا من نوع مختلف، وربما أصعب. فقد بنى السيناتور السابق عن ولاية أوهايو صورته السياسية على رفض التدخلات الخارجية، حتى إنه كان من أشد المعارضين للحرب على إيران، وإن من خلف الكواليس.

ومع ذلك، وجد الرجل نفسه على رأس أرفع وفد يقود محادثات مع طهران منذ نصف قرن. لكن إحباطه كان واضحا عندما تحدث إلى وسائل الإعلام بعد جولة المفاوضات الماراثونية التي استمرت طوال الليل في إسلام آباد من دون أن تسفر عن اتفاق لتحويل وقف إطلاق النار المؤقت إلى سلام دائم.

وقال للصحفيين في العاصمة الباكستانية صباح الأحد: «نعود إلى الولايات المتحدة من دون أن نكون قد توصلنا إلى اتفاق».

وبعد يوم واحد، بدا فانس أكثر تفاؤلا؛ إذ قال لقناة فوكس نيوز: «لا أقول إن الأمور سارت بشكل خاطئ فقط، بل أعتقد أيضا أن بعض الأمور سارت بشكل صحيح. لقد أحرزنا تقدما كبيرا».

وفي حين لا يزال مصير المحادثات بين الولايات المتحدة وإيران غير واضح، صرح ترامب بأن ممثلين لإيران تواصلوا معه وأبدوا رغبتهم في التوصل إلى اتفاق، علما أن واشنطن بدأت الإثنين حصارا بحريا على الموانئ الإيرانية.

وقال فانس: إن «الكرة الآن في ملعب إيران» في ما يتعلق بالمحادثات المقبلة، لكنه لم يستبعد استمرارها.

ولا يزال تأثير ما جرى غير محسوم على طموحات فانس السياسية. فالمعركة على ترشيح الحزب الجمهوري لانتخابات 2028 ستبدأ فعليا بعد انتخابات التجديد النصفي في تشرين الثاني/نوفمبر، ومن المتوقع أن يواجه فانس وزير الخارجية ماركو روبيو.

لكن في حين أن منصب نائب الرئيس يمنح صاحبه حضورا أكبر كمرشح محتمل، فإنه قد يربطه أيضا بسياسات الرئيس المنتهية ولايته، وهي سياسات أصبحت، حسب تقارير إعلامية، أقل شعبية مع مرور الوقت.

جنين تخسر واصفها..

جنين- الحياة الجديدة-عبد الباسط خلف- غيب الموت صباح أمس الثلاثاء، الصحفي والشاعر والتربوي ياسين عبد اللّه السعدي، بعد سيرة ومسيرة حافلتين احتضنتهما قرية المزار المهجرة وحواري جنين.

واصطبغت جنبات سوق السيباط العتيق، حيث عمل الراحل، بالحديث عن فقيد الأسرة الأدبية، وانتقلت مآثر الفقيد سريعا، عبر منصات التواصل.

وعرف الراحل بـ»واصف الشيباني»، وهو الاسم الذي قال لـ»الحياة الجديدة» في حوار سابق معه إنه كان للتحرر من مقص الرقيب العسكري، وللنشر دون قيود الوظيفة العمومية إبان عهد الاحتلال.

وبرع السعدي في سلك التدريس، فقد علم، وفق إفادة سابقة قدمها لـ»الحياة الجديدة» في مدارس مدينة جنين، وبلدات اليامون، وفقوعة، وعربونة، والمزرعة في محافظة رام اللّه والبيرة، ونزلة عيسى في محافظة طولكرم.

وحسب أستاذ التاريخ، مفيد جلغوم، فقد أبصر المرحوم النور في 27 آب 1940 في المزار المدمرة، إلى الشمال الشرقي من جنين، ونال تعليمه الأساسي في كتاب القرية، ثم في مدارس جنين حتى المرحلة الثانوية، وانتسب إلى جامعة بيروت العربية، وحصل على ليسانس آداب اللغة العربية.

وأضاف لـ»الحياة الجديدة» بأن الراحل نشأ في بيئة ريفية غنية بالتراث، وعمل على حفظ الذاكرة الشعبية، وكان مرجعا للباحثين عن القرى المدمرة في جنين، بحكم طفولته المبكرة في المزار، قبل النزوح عنها.

واللافت، وفق جلغوم، فإن المرحوم السعدي نظم الشعر منذ كان في المرحلة الثانوية، وبدأ يشق طريقه في الصحف والمجلات، ولازم كتابة المقال السياسي والأدبي والاجتماعي، ودمج بين الجرأة والصراحة والطرافة. كما التصق السعدي بمقالته الأسبوعية، تحت عنوان (هدير الضمير)، في صحيفتي «النهار»و»القدس»، منذ عام 1991 بشكل منتظم.

واشتغل المرحوم معلما في التربية والتعليم منذ 1963، وحتى كانون الثاني 1995، وعمل لسنتين في جريدة «القدس»، كما افتتح مطبعة في جنين.

وقال جلغوم، إن الراحل أصدر بين 1992 و2023 عدة أعمال، أبرزها: مسرحية مؤتمر السلام، وقصيدة مطولة «الغضب الطهور في الزمن المريب»، وهدير الضمير 1، وهي مقالات نشرها في «النهار» المقدسية سنة 1991، وديوان شعر عاطفي « قناديلي عيونك» سنة 2002، وديوان شعر في الوطنيات «يا عاشقا وطنا»، وهدير الضمير 2 قبل 3 سنوات.

وأضاف: نشر السعدي الكثير من الأعمال والمخطوطات، ومنها «أقوال وأمثالمع حكماء الشعراء»، و»وطن الشهيد»، وهو عرض وتحليل وتعليق للمسرحية الشعرية للشاعر الراحل برهان الدين العبوشي، ومواقف في رحلة العمر، وعناوين بلا مضامين، ومهن سادت ثم بادت أو كادت، ومصطلحات بلا دلالات، وديوان شعر «الأحلام الميتة» الذي يحتوي على شعره قبل هزيمة حزيران 1967.

وقال الأديب والتربوي، حسان نزال لـ»الحياة الجديدة» إن شعورا بالفقد سيطر على محبي وتلامذة وأصدقاء ورفاق الأديب السعدي «أبو ساطي»، في فلسطين عموما وجنين خاصة.

وأضاف: ودعنا قامة بقيت واقفة ولم تنحن يوما، ولا تخلت عن ثوابتها وعن فلسطينها العالية، ولا فترت لها همة رغم محطات الانحناء والفتور والتراجع، وسيطرة التشظي السياسي والوطني والثقافي.

ووفق نزال، فإن رحيل الشاعر والأديب والتربوي الراحل، أو كما اضطر أن يوقع نزفه الأدبي في زاويته «هدير الضمير» بـ «واصف الشيباني»مثلت خسارة كبيرة لفلسطين، وترك فراغا من الصعب أن يشغل، وإرثا تاريخيا وأدبيا جديران بالمراجعة والتنقيح والإخراج كما يليق مكانة بالرجل الذي حرص على دوره وتواصله مع الأسرة الأدبية حتى في عز مرضه وشيخوخته.

وتابع: وصرخ الراحل ذات يوم في جنين وهو يرى الحصار الأول والجريمة التي ارتكبت بحق الشهيدين الزريقي والفرقع مطلع العقد العاشر من القرن الماضي «قومي جنين استيقظي.. قومي اشهدي عرس الزريقي واحتفال الفرقع».

ووصف نزال: مضى السعدي وهو ممتلئ بفلسطين وبعدالة قضيتها وحتمية انتصارها، ويبذر هذا الإيمان في كل القلوب التي يألفها، وعبر كل المحافل التي يرتادها، فقد كان قائدا قوي الحجة، فصيح اللسان، ثابت الجنان، الأمر الذي أكسبه الأنفة والعزة والطمأنينة والرضا، وأسبغ عليه وقار المعلم وهيبة الأديب وحضور الشاعر.

واختتم: كان حارس الثوابت، حي الذاكرة، نفتقده كأغلى ما يمكن أن نفتقد، ونودعه على عهد الوفاء لسيرته ومسيرته وفلسطينيته وعقيدته ومواقفه العليا، ففي سيرته استمرار للرواية الفلسطينية الحقة في مواجهة البدع، وتثبيت للقلوب المرتجفة وسط هذا البوار الذي يسيطر على الإقليم.

بدوره، وصف مدير وزارة الثقافة السابق في حنين، عزت أبو الرب، رحيل السعدي بخسارة فادحة لأديب استثنائي، نال عام 2017 لقب شخصية فلسطين، من وزارة الثقافة.

وقال إن الراحل كان من بواسق النخل القليلة المتبقية في جنين، وأساور عنبر تحكي عراقة المكان ونضارته، وكان يفيض بأصناف شتى من العلوم والمعارف وهموم الإنسان والمكان.

وأكمل بحزن: حرص السعدي على المشاركة في الأيام الوطنية الثقافية كلها، وكان تربويا، وشاعرا، وكاتبا، وإعلاميا، ومخلصا لجنين، ومنح الكتاب الشباب دفعة أمل وتحفيز.

وأقفل أبو الرب: خسرت جنين أحدة أعمدة أدبها وشعرها، ونستذكر أشعاره وفخره بمدينته:

جنين يا جنة الأحلام والأمل... يغفو لديك جلال الدهر والأزل
يا صفحة من كتاب الكون قد نشرت... أطرافها بين عنق السهل والجبل
يا جنة المرج يجري في خمائلها... نهر المقطع منسابا على مهل
مدينة الورد يا بنت الخيال بها ... عرائس السرو قد زفت إلى النخل
تموج رائحة الليمون عابقة... تحيي النفوس وتجلوها من العلل
هذي جنين وعين اللّه تحرسها... يضفي عليها الربيع رائع الحلل